

## نافذة

## عن الغياب وسر الغياب

يردد كثير من المبدعين والمفكرين ورجال الدين كلمة الغياب، ويردد العاشقون كلمة الغياب مشفوعة بكثير من الألم والشكوى، والفرق كبير بين رؤية كل واحد لفكرة الغياب، فقد يكون الغياب ساكناً في الغيب لدى شرايف من العلماء والناس، وهذا السكن في الغيب يكون مرجواً، ويكتسب هذا الجانب أو ذاك مشروعية الفكر من الغياب، الذي يبني عليه أسباب فلسفة الانتظار، ومن ثم عليه تبني الآليات للسيطرة والهيمية على الناس الذين يشاركون هذه الرؤية في الغياب.. والغياب كما حدده الكتاب، وخاصة في علم المجتمع والفلسفة قد يأخذ مناحي متعددة، ولعل أولها وأقربها إلى الذهن فكرة حضور أحدهم الفاعل في حياته ثم غيابه فجأة عنه، سواء كانت العلاقة التي تربط به علاقة أسرة أو عمل أو حب أو غير ذلك، ويكون الغياب لسبب فيزيولوجي هو الوفاة، وقد يكون لأسباب أخرى.. ويجمع الكتاب على أن غياب الموت والفيزيولوجيا هو أسهل أنواع الغياب، لأنه يطوي معه صفحة كاملة بسلبياتها وإيجابياتها، والإشفاق على الغياب يدفع الذي بقي بعد الغياب إلى الغفران والصفح والترحم، وقليلة هي الحالات التي خلف الغياب الفيزيولوجي أما امتداداً، ونذكر هنا النساء وليلي الأخرية، لكن سرعان ما تنتهي هذه الحالة عن الغياب وتعود الحياة إلى طبيعتها، فالذي بقي يحيا ويأكل ويحب ويرتبط، وقد تعود إليه نكوى الغائب، وقد لا تعود مطلقاً، ويدخل في عالم الرحمة بعد أن ابتلعه الغياب.

ويشكل شعر الرثاء ميداناً رحيباً لفلسفة الغياب للأحبة، سواء كان الغائب ولداً أم زوجاً أو زوجة أو أباً أو أمّاً أو أي شيء تعلق به الإنسان مدة من الزمن، ولو قرأنا القصائد والأقوال سنجد عاطفة محزنة، فهذا يقسم أن الحياة مستحيلة، وذلك تصدع كبده، وثالث انفرط عقده بعد أن قصد الموت واسطة العقد، وآخر يرى أن الأنوثة مستحيلة، ويرى أن الدواة جفت من الحبر وامتلات دمعاً يفيض ليكتب قصة، وتلك تقسم إنها لا تنفك تبكي..! وعندما نقرا أي نص يجب أن نضعه في شرطه، وعندما نحضر مثل هذا الغياب من المفترض أن نحاكمه بشرطه الموضوعي، لأن استمرار خطي الحضور لمن بقي، والغياب لمن غاب يجعل هذه اللحظة آنية قابلة لأن تتغير بين لحظة وأخرى.. فالأم النكلى لن تنسى، لكنها ستتابع، وستفرح لأولادها وأحفادها الباقين، والزوج سيلتقي بمن يرتبط، والمرأة ستعلم الفعل نفسه، وكل واحد يجد لنفسه مسوغاً للمتابعة، فهذا يرى أن الحياة تستمر، وهو أعلى رأي وأكثره قرباً للمنطق، وذلك للخمدة، وآخر للأولاد، وآخر للستره.. ووو!! والسبب الوحيد المقنع هو أن الحياة تستمر ومن غاب غاب.. ولأن الغياب هاجس الإنسان، فإن أكثر السؤال يتبادله المرتبطون هو هل سنستكمل مع إنسان آخر بعدى؟! ويتبادل الاثنان الأيمان والوعد، وكل ما يتم تبادلها من باب جبران الخاطر حتى لا أقول الكتب، فلا الأنوثة مستحيلة، ولا الرجولة مستحيلة، وكل شيء جائز في حضور الطرفين، فما بالنا في الغياب؟

وهذه المسألة المتعلقة بالغياب ليست وليدة اليوم، فقد أعزم بها الإنسان وشكلت لديه عقدة النهائية، والأكثر عقلانية هو الذي لا يطرح سؤال الغياب نهائياً، ولكن من يطرحه يطرحه بدافع أنانيته، ويفترض الإجابة وإن لم تكن صحيحة، وإن لم تتجاوب مع رأيه، فهذا شاعر يمتنى لزوجه بعد رحيله بعلاً بحبها، وهو غير صادق حتماً، وذلك هدية بن الخشرم الشاعر العزري، تلمس زوجته معاناته عند احتضاره من أن تحب زوجته سواء بعد رحيله، فتقوم - كما تقول الكاتبة- بجذب أنفها لتلمعن حبيبها، فرحل مطمئناً من أنها لن تعيش مع رجل آخر بعده. وتختص مجتمعاتنا بنفاض الغياب والحضور مثلاً، فقد يفتقر زوجان، ولكن أحدهما ينهب بنفاض الغياب والحضور مثلاً، ويمنع الآخر، وخاصة المرأة من أن تلتفت إلى حياتها! أربتم حالات من الرجال، التي تتابع المرأة بعد طلاقها وتتصلها وتمننها من أن تكمل حياتها، إن كنت بهذه الغيرة والحرص لم انفصلت عن تحب؟ يقول لك: لا أحبها، ولكنها أم أولادي، ولا أتخيلها زوجة لإنسان آخر فهي لي، ويجب ألا تكون لسواي! والولد يغيب وسوط أبيه فوق رأسه، وهكذا تشكل فلسفة الغياب في مجتمعاتنا أسلوب حياة قد يسأل أحدهم: وهل يستحق الغياب هذا الحديدي المتشعب؟ نعم لأن الغياب في جزء منه عاطفي أو وصائي أو عقدي، وهو المؤثر الأكبر في حياة الإنسان والأسرة والمجتمع، وما تعيشه سورية اليوم من حرب أظهر لنا أن لفلسفة الغياب هي المؤثر الأكبر في حياتنا، وأنا أعرف أكثر من ست حالات للغياب المؤقت فهذا شدت زوجته الرجال وأخذت الأولاد حفاظاً عليهم، وهو ساعدها بالخروج، وفصارت في مكان وهو في آخر، وهو يجمع ويرسل لها المال، وهي لا تفقا تطلب المزيد، وبعد مدة قد تطول وقد تقصر يكتشف أن زوجته قد طلقته حقيقة أو جسدياً وعيشت حياتها واستنزفت، فيعود إلى نفسه حزناً يمارس بكائها، وقد تكشف في أنه ساعدها في السفر للبقاء في حياته التي يحبها، وتشكل في العيب الأكبر عليه.. وقد أفرزت لنا الحرب على سورية حالات مرضية لا حصر لها، والتي أظهرها هو الغياب، وقد يكون الغياب مجهولاً لم يلبث من بقي بعد الغائب أن عاد إلى حياته الطبيعية تحت قاعدة «الحي أبقى من الميت» فالعبد يحكم حياة أحداً، والغياب متحكم أهم، لذلك لحظة الفقه في التفريق بسبب البعد والهجر الذي يتجاوز حداً يحتمله الإنسان، وهو المسموح به شرعاً، ولو لم يكن الغياب بهذه الدرجة من التأثير ما تم خصه في الفقه اعتماداً على قدرة الإنسان على العفة والصوم، وذلك في الإطار المؤسسي الشرعي والذي يحرص على تطبيق نظرية الغياب أكثر من الرجل بطبيعة المجتمعات الذكورية، فهو الذي يحق له أن يمارس الغياب والوصائية في الوقت نفسه، بل ويدافع عن حقه هنا بنصوص مقدسة أو قريبة من القداسة، وهو يعلم في قرارة نفسه أن النص المقدس مقدس، لكنه في واد وهو في واد آخر، ويبقى كذلك إلى أن يأخذ ما يشاء، ويميل وينتهي مفعوله، ولا يبقى من رحيق في الزهر، ليلجأ إلى المقدس ليسوع فضلاً عن نفسه، وبالأحسن حدثني أحد الأصدقاء في هذه المسألة، وراجعت ما أعرف من حالات فرضية الحرب على سورية، وسواء كان البعد والتشتت الاجتماعي بسبب هجرة داخلية قسرية، أم هجرة خارجية قسرية أو طوعية، عرفت أن التشظي الذي حدث نتيجة الحرب له عقابيل لا تقف عند وقت محدث، ولا تنتهي آثارها بانتهائها، وينقسم الرأي بأن الحرب هي السبب، أو بأن الإنسان هو كذلك، لكن الحرب أعاثت إلى حقيقة، وكلا الرأيين غير صحيح، فالعبد لدى الإنسان يؤثر حتماً، لكن التربية والمجتمع يسهمان في التغيير، وإلا ما اقتنعنا بتحول رابعة العودية من الغناء إلى العشق الإلهي، ولكن من ينكر أثر الحرب في كل ما حصل، فهو خارج إطار الزمان والمكان، فهو إما مكابر، أو أنه إنسان لم يتكو بشيء، ويقوم بإعلاء الوصفات الجاهزة والأحكام الجائرة، فهو لم يجد نفسه تحت سطوة الغريب، وهو لم يجد نفسه بلا بيت، ولم يجد نفسه بلا عمل، ولم يجد أن أسرته صارت هباء، والأحكام لا تؤخذ إلا ممن عاش التجربة وعانيتها وعانى منها، أو قال نزار «ومن رأى السم لا يشقى كمن شرباً»!

أدع أنواع الغياب التي قد تدخل في العقيدة والرأي، فلها فلسفة أخرى، وأنا أتحدث عن الغياب الذي أستطيع استيعابه.. وأختم بالغياب غير المرئي، فأحدث بعضي جزءاً من حياته، قد يطول، يعيش ويتعلم ويأكل ويشرب ويؤسس مؤسسة، وعند كل إغفاءة واستيقاظه يأتيه منظر لم يشهده حقيقة، ولم يلق به، وهو غيب لما يحلم به المرء، ولا يغادر أحداً الدنيا من دون أن يحظى بالحلم، ويتنقى الغياب، وقد يمتنى أحداً لو بقي الحلم غائباً غائباً، لأنه لا يغير كل ما في حياة أحداً، وربما دفعه إلى مراحل متقدمة من الجنون، وقد ينم أحداً لتأخر هذا الحلم في الوصول، فقد زرعه على شرفة الإبداع والتألق، ولعل أهمها اكتشاف الذات، واكتشاف الذات هو أهم ما نستخلصه من الغياب، فعندما يكون الغياب قليلاً أو بعيداً يكتشف المرء منا حقيقة ذاته ونفسه من دون تكأة على الآخر، وإن كانت هذه التكأة وهمية.. الدخول بوعي في الغياب يجعل واحداً محتجباً ليكون بذاته، ومفروراً ليحقق بذاته... وقبل عشرة قرون وأكثر قال جدنا المتنبّي:

ولست بقانع من كل فصل  
بأن أعزى إلى جد همام

الغياب وحده يضعنا بصورة إجبارية أمام نواتنا.

## إسماعيل مروة

# «النصر ساعة صبر» رسالة أمل وبشرى بالنصر د. مازن حميدي: نمتلك جيشاً بطلاً ومقداماً.. وملامح النصر تلوح في الأفق

## ديمة عقاد: نصر سورية اقرب.. وعلينا الصبر حتى نحتفل به



د. مازن حميدي



جانب من الحضور الرسمي



ديمة عقاد

### وائل العدس- تصوير طارق السعدوني

برعاية نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع العماد فهد جاسم الفريج، وبمناسبة الذكرى الرابعة والأربعين لحرب تشرين التحريرية، أقامت جمعية «تموز» العرض المسرحي الغنائي «النصر ساعة صبر» على مسرح الأوبرا في دار الأسد للثقافة والفنون يومي الجمعة والسبت، بحضور عدد من الشخصيات الرسمية وأبناء الشهداء والضباط والفنانيين والإعلاميين.

والعمل المسرحي موجه لدعم أسر الشهداء، ويتحدث عن بطولات الجيش العربي السوري في

وتناول العرض صوراً من فجاج جيشنا الباسل وصمود السوريين معه خلال الحرب الإبراهيمية من لوحة «أم أحمد» والدة الجندي، إلى لوحة الجنود الذين يدافعون عن قلعة حلب و لوحة تحرير مدينة حلب و لوحة الطيار ومساعدته والشهيد ووالديه، حيث مزج المخرج الحوار بين العرض المسرحي على الخشبة وبين مادة فيلمية جاهزة تعرض على الشاشة كما في لوحة القلعة عندما يتبادل الجنود الحوار مع النجم أيمن زيدان في مشهد مسجل وهو يقف على درج قلعة حلب.

وحرص المخرج على أن يتم الرقص التعبيري فكرة العرض كما في لوحة الجنود وهم يتصدون للإرهابيين الذين ارتدوا ثياباً سوداء كناية عن إجرامهم وفكرهم الأسود الظلامي.

واستمر المخرج الغناء عبر المغني الشاب بلال الجندي الذي أدى إلى جانب غنائه دور جندي، فكانت كلمات الأغاني مستوحاة من عنوان العرض ومن عبارات يرددها الممثلون ليكون ختام النصر ساعة صبر مزجياً من كلمة «انتصروا» التي يرددونها جموع الممثلين المشاركين في العرض وصوت المطربين شهد وعبود برمد.

والعمل من تأليف محمود عبد الكريم، وإخراج مأمون الخطيب، وموسيقا طاهر مامللي، وبطولة سلمى المصري ولينا حواره ورنا جمول وميريانا المعلوي ومالك محمد وإبراهيم عيسى ويامن سليمان ومؤيد الخراط وكرم الشعرايين ولجين إسماعيل وبسال الجندي، بمشاركة نخبة الغناء شهد وعبود برمد، إضافة إلى ظهور خاص للنجم أيمن زيدان، ومشاركة فرقة أرام للرقص.

### رسالة فنية ثقافية

خلال كلمة ألقاها قبيل افتتاح العرض، قال رئيس جمعية تموز الدكتور مازن حميدي: نحتفل اليوم بمناسبة عزيزة على قلوب كل السوريين، هي حرب تشرين التحريرية، هذه الحرب التي سمعنا من أباينا عن بطولات الجيش والتضحيات التي قدمها، واليوم نعود لنعيش مرحلة جديدة يسطرها الجيش أيضاً الذي تحكي عن بطولاته للعام السابع على التوالي، ومهما تحدثنا عنه لا نفه حقه، والفرق بين حرب تشرين وحربنا اليوم، أن عام ٧٣ حاربنا دولة وراها مئة دولة، أما اليوم فنحارب مئة دولة وراها هذه الدولة، لكنهم لم يعرفوا أن أبناء وأحفاد الأبطال في الحرب الأولى هم أنفسهم يجاربون في الحرب الجديدة، ولن يسبحوا لأي حقيز أن يدين هذه الأرض الطاهرة.

وأضاف: أنتشر المعارضة لأننا أثبتنا أنها انقته معارضة عرفتها الأرض، لأن أي معارضة تتجاهم رموزها فهي ساقطة، وهي منذ بداية الحرب هاجمت العلم والجيش والقائد، فالعلم بات يعني لنا أكثر، والجيش تعشق الأرض التي يمشي عليها، والسيد الرئيس وقف في وجه العالم ولم يدعنا نتحني، وستبقى سائرين خلفه مهما صار.

وتابع: صحيح أننا في حربنا نحقق الانتصارات المتتالية، لكنها شهدت أيضاً ارتفاعاً أعظم من في الدنيا وأنبئ بني البشر على يد أيقه من في الدنيا وأسفل بني البشر، ونحن صامدون وستنتصر، ونحتفل اليوم بانطلاق العمل الخيري لجمعية «تموز» لهذا العام، وقد سمينا العرض «النصر ساعة صبر» لأن له معاني

معارك البطولة، وصمود أبناء الوطن بجميع فئاته، وخاصة الأمهات اللواتي قدمن أعلى ما يملكن في سبيل الوطن.

كما يتحدث عن قيمة الصبر والصمود في خضم المآسي الكبرى التي نتعرض لها، وهو رسالة أمل وبشرى بالنصر إلى الجندي العربي السوري الذي قدم روحه فداءً لقيصته، قضية قدسية الأرض وضرورة الحفاظ عليها.

وجاء العرض بمنزلة المزج بين عدد من الفنون البصرية من التمثيل والغناء والرقص وشاشة العرض السينمائية محاكياً تجارب فن الأداء المعروفة عالمياً بفن «البيبر فورمانس».

### رسالة للجيش

وأشارت ميريانا المعلوي إلى أن العرض رسالة مني إلى رجال الجيش العربي السوري، حامي العرض والأرض، الذين قدموا نداءهم وشبابهم وأرواحهم لتبقى على قيد الحياة، وأتمنى أن يقبلوها مني. ويعني العرض الكثير في لأنني لم أستطع أن أكون إلى جانبهم في الميدان، لكنني معهم معنوياً وأردني البزة العسكرية خلال المسرحية، وهذا ما يمنحني الفخر.

### لوحات إنسانية

وكشف مالك محمد أن العمل عبارة عن مجموعة لوحات إنسانية تمس الجنود المدافعين عن الوطن، ورويتهم بالحالة العاطفية وبلحظة حاسمة في المعركة، وأنا مؤمن أن كل إنسان مقاتل ومقاوم في مكانه.

### قلباً وقالباً

وقال مؤيد الخراط: إن مشاركتي في هذا العرض تعني لي الكثير، وخاصة أنه يقدم في ذكرى حرب تشرين التحريرية، لأستطيع من خلال عملي أن أقدم شيئاً ولو صغيراً للجيش العربي السوري، ونحن مع جنودنا الأبطال قلباً وقالباً ويدياً واحدة، وإن شاء الله فالنصر لنا دائماً.

### أكبر من الكلمات

بدوره تحدث كرم الشعرايين عن مشاركة فقال: افتخر هذا العرض، ونحن بحاجة دوماً لفعاليات تقدم الدعم المادي والمعنوي للمتضررين من الحرب، وأولهم أسر الشهداء.

### انتصار حقيقي

وأوضح عبود برمد: سعيد جداً بهذه المشاركة، ووجودي ضمن كوكبة النجوم شرف كبير، وهي ثاني تجربة أقد فيها على مسرح الأوبرا، وأعتبر هذا العرض انتصاراً حقيقياً، وخاصة أن الربيع عاثر إلى أسر الشهداء.

### جمعية تموز

جمعية غير ربحية تأسست عام ٢٠١٢ بالقرار رقم ٩٣٥ الصادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وتعنى بدعم أسر الشهداء بما يضمن لهم سبل الحياة ذاته، وهو شيء بسيط مقارنة بما يقدمه بالدفاع عن الوطن، هذا الجيش رافع راياتنا ولولاه لما كنا استمرنا بالحياة، وهم أعلى ما في الحياة وأنبئ بني البشر.

### عمل صعب

المخرج عرض مأمون الخطيب أن نصر حلب بشارة خير لنصر سورية، لذلك ركزنا عليها، وقال: وافقت على المشاركة في هذا النوع من العمل رغم صعوبته دعماً لتوجه جمعية تموز التي تعنى بأسر الشهداء وتدعم عن طريق رسالة مقدسة لنا وهي الفن.

### واجب وطني

وأكد الموسيقار طاهر مامللي أن دعم أسر الشهداء واجب، وهذا ما يحتم علينا كفنانيين أن نقدم رسالتنا على أفضل وجه، وعلى الفنان واجب إنساني ووطني، مضافاً: لدينا رسالة مباشرة من هذا العرض تتعلق بدعم أسر الشهداء.

### دور كبير

أما سلمى المصري فعبرت عن سعادتها للمشاركة في هذا العمل، مؤكداً أن للفنان دوراً كبيراً في هذه المرحلة من خلال مشاركته بدعم الجمعيات الخيرية ورفع معنويات أمهات الشهداء، لتقديم شيئاً بسيطاً نستطيع من خلاله زرع بسمة صغيرة على وجوههن.

### وفاء للدم

وقالت رنا جمول لهذه الرسالة، تكمن أهمية العرض بأنه مقدم لرجال الجيش العربي السوري، أظهر من في الأرض وأنبئ بني البشر، وأفتخر أنني شاركت في هذا العرض لأن جمعية تموز تعمل بشرف، وتقدم كل ما تستطيع لأسر الشهداء، وفاءً منهم للدم.

### شيء بسيط

ورأت لينا حواره أنه بمجرد أنني شاركت في فعالية لها علاقة بالجيش العربي السوري فهو نصر بحد ذاته، وهو شيء بسيط مقارنة بما يقدمه بالدفاع عن الوطن، هذا الجيش رافع راياتنا ولولاه لما كنا استمرنا بالحياة، وهم أعلى ما في الحياة وأنبئ بني البشر.

### الرسالة قائمة

وأوضح يامن سليمان أنه في رقبنا دين تجاه الشهداء، لأنهم ارتقوا لنعيش ونستمر وتتبقى رسالة الحياة قائمة، وعلينا أن تكون أوفياء لهم.



من العرض

